المحاضـــــرة الثـــالثـــــة:

مبادئ وأســـس السيميائيـــات

لكل علم مبادئ وأسس تميزه عن غيره من العلوم، وتوضع هذه الأسس بحسب طبيعة واستقلالية هذا العلم من جهة ، والهدف المنشود والمراد تحقيقه من خلال الممارسة في ضوء آلياته وقواعده من جهة أخرى، والسيميائيات في معناها الأكثر بداهة هي تساؤلات حول المعنى، أو تبحث عن المعنى من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبنى الدالة، وهي كذلك لا تهتم بالنص ولا بمن قاله، وإنّما تحاول الإجابة عن تساؤل وحيد هو كيف قال النص ما قاله؟ ومن أجل ذلك يفكك النص ويعاد تركيبه من جديد لتحدد ثوابته البنيوية، وهذا العمل يقوم على المبادئ التالية: "التحليل المحايث"، "التحليل البنيوي" و"تحليل الخطاب".

التـــحلـيل المحايث (المحايثة) Immanence :

مصطلح "المحايثة" من المصطلحات التي لاقت رواجا في الساحة النقدية الغربية وخاصة الأوروبية، حيث شهدت فترة ستينيات القرن الماضي تداولا واسعا لهذا المصطلح لارتباطه بالمنهج البنيوي الذي ساد فترة طويلة امتدت لأكثر من خمسة عقود، ووردت كلمة "ملازمة" في قاموس "مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص" مقابل "المحايثة"، وهي تعني:[1]

1. ملازمة ما هو موجود في طبيعة الشيء.

2. في الألسنية: الملازمة هي مبدأ منهجي يقوم على تحديد الظواهر الألسنية، وفي غير الألسنية: ترفض الدراسة الملازمة للكلام الاستعانة بالظواهر والتفسيرات الخارجية، وطرح "دي سوسير" مبدأ الملازمة لإرساء دعائم استقلالية الألسنية في موضوعها ومنهجيتها.يمكن

([1]) رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي/انجليزي/فرنسي)،(ط1)، دار الحكمة، الجزائر،2000م،ص:89

أن ندرس قوانين لعبة الشطرنج دون أن نتعرض لمنشئها وتطورها التاريخي، ودون أن نهتم بالمادة التي شكلت منها الحجرات، نفس التصور الذي يسلكه الألسني الذي يدرس اللغة من الداخل دون أن يستعين بالمؤرخ والفلولوجي.

بمعنى أنّ التحليل المحايث ينظر إلى النص إلّا في ذاته، أي إقصاء أثناء الدراسة كل الظروف والملابسات التي أحاطت بالنص، والتركيز على الدوال الداخلية المتحكمة في إيجاد الدلالة،"فالمعنى هو أثر ناتج عن شبكة من العلاقات الرابطة بين العناصر" بحسب "فيصل الأحمر". ثم انتقل المصطلح إلى مجال السيميائيات وأصبح مصطلحا رئيسيا من المصطلحات السيميائية.

التحـــــليل البنيـــوي:

حينما يدرس الناقد البنيوي المادة أو النص، فأولى خطواته هي التأمل في عناصر المادة ومعرفة طرائق أدائها لوظائفها وعلاقات بعضها ببعض، دون أن يتجاوز حدود المادة أو النص، ومن شروط التحليل [1] أن يكون الناقد البنيوي متسلحا بالعلوم التي تخص موضوعه ولا سيما علم اللسانيات، لأنّ التحليل البنيوي هو تحليل ألسني بالأساس يجري على اللغة التي يبنى منها النص، وتناط للناقد أو المحلّل مهمة كشف عناصر البنية، وذلك من خلال النظر في نسيج العلاقات اللغوية وأنساقها، ويجب النظر في البنية العميقة للنص، وفي أنساق التراكيب من خلال المحور الأفقي والمحور العمودي، لتكشف عن دلالتها، فالأول (المحور الأفقي) يتعلق بالجذر التركيبي والثاني (المحور العمودي) ويتعلق بالدلالات أو الإيحاءات.[2] فالتعامل مع النص هو تعامل "ذري مغلق على نفسه وموجود بذاته، فتدخل تبعا لهذا المفهوم في مغامرة الكشف عن لعبة الدلالات".[3]

([1]) ينظر: يمنى العيد، في معرفة النص، دراسات في النقد الأدبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان،(د_ت)،ص:35،36

([2]) المرجع نفسه،ص:36

([3]) محمد ينيس، ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب، مقاربة بنبوية تكوينية، دار العودة، بيروت، لبنان،(ط1)،1979،ص:23

تحليل الخطـــــــاب:

لا يختلف اثنان على أنّ اللسانيات البنيوية لم تتجاوز في دراستها الجملة تركيبا وإنتاجا باعتبارها جزءا من الخطاب، لكن مع ظهور السيميائية انفتح النص على عدة عوالم، أي تجاوزت الدراسة نظام الجملة وما يسمى "بالقدرة الحصيلة"، فالتحليل السيميائي كما ترى جماعة" أنترفون" هو ذاته تحليل الخطاب فـــ" السيميوطيقا تهتم ببناء نظام لإنتاج الأقوال والنصوص، وهو ما يسمى بالقدرة الخطابية ولذلك، فمن المناسب الآن وضع القواعد والقوانين التي تتحكم في بناء هذه الأقوال وتلك النصوص"،[1] ويرجع فضل انفتاح النص إلى جهود المنظرين السيميائيين الذين سعوا إلى بناء نظرية عامة للغة كـــ"فرديناد دي سوسير"وخاصة ثنائيته المشهورة (اللغة والكلام) و"نعوم تشومسكي" وثنائيته (الكفاءة والأداء).

(1) جماعة أنترفون، التحليل السيميوطيقي للنصوص، ترجمة محمد السرغينين مجلة دراسات أدبية ولسانية، العدد 2 ،1986 ،ص26.